

فيه هو أن الفصاحة يطلق على معنيين : أحدهما ما مر في صدر المقدمة ، ولا نزاع في رجوعها إلى نفس اللفظ ، والثاني وصف في الكلام به يقع التفاضل ، ويثبت الإعجاز ، وعليه يطلق البلاغة والبراعة والبيان ، وما شاكل ذلك (١) .

واللفظ أيضا لا يؤخذ عندهم على إطلاقه ، فهو على مصطلح أرباب المعاني عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنى الثاني ، على ما صرح به الشيخ ، حيث قال : إذا وصفوا اللفظ بما يدل على تفخيمه ، لم يريدوا اللفظ المنطوق ، ولكن معنى اللفظ الذي دل به على المعنى الثاني .

فأين هذا من الدلالة الفطرية الأولى للفصاحة والبلاغة واللفظ ، قبل أن يقيدوا الاصطلاح الذي أفضى إلى توهم التناقض في كلام عبد القاهر ، ثم دفعه بعد ذلك ؟! وأين هذا من وصف الكلمة بالطيبة في قوله تعالى : « كلمة طيبة » ، حيث تتحقق الوحدة ، ويتم التكامل بين لحظات الكلمة ؟ ولا يستقيم ما يقال من أن الوصف قد ورد على سبيل المجاز ، وأن الكلمة باعتبارها اللفظ المفرد علامة محسوسة ، فهي في الآية الكريمة إنما تكشف عن وحدة الظاهرة اللغوية ، ولا وجه معها للسؤال عن المقصود بالصفة : أهو اللفظ أم المعنى ، فلن يتأتى بذلك بيان .

ولقد حام بعض المعاصرين حول مذهب عبد القاهر في اللفظ والمعنى ، واضطربت في ذلك الأقوال ، مع أن المعاني التي أدار عليها

---

(١) المطول ، ٢٨ ، ٢٩ .